بداية الحركة الصهيونية في العالم

كانت أحلام العودة إلى فلسطين تراود بني إسرائيل وهم في السبي البابلي رغم انحرافهم وضلالهم ومن ثم بدأت فكرة الصهيونية «على أساس أنها تعبر عن الخلاص القومي لليهود ووجوب عودتهم إلى فلسطين ثم تبلور هذا الاتجاه وبرز في الفكر اليهودي عندما دمر الامبراطور الروماني إيليوس هادريكان القدس عام ١٣٥م ثم أقام عليها مدينة أسماها «إيليا كابيتولينا» بعد أن قضى قضاءً مبرماً على الكيان الذاتي والديني لليهود[١].

ورغم تشتت اليهود وتفرقهم في جميع أنحاء العالم إلا أنهم ظلوا متمسكين بنصوص العهد القديم والتلمود وغيرها واشربت قلوبهم هذه التعاليم في أي مكان وجدوا فيه وأصبح كل يهودي يؤمن تماماً بأن اليهود شعب الله المختار كما ورد في العهد القديم.

وهذا كذب لأن شعب الله المختار كان هو الجيل المسلم من اليهود والذي انتهى.

جاء في العهد القديم: «والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب، لأن جميع الأرض لي. وأنتم تكونون لي مملكة أحباراً وشعباً مقدساً هذا هو الكلام الذي تقوله لبني إسرائيل»[٢].

---

(١) اليهود في العالم القديم أ. د. مصطفى كمال/ د. سيد راشد، دار القلم.

(٢) سفر الخروج الإصحاح ١٩.

«لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض»[1].

ويؤكد ذلك ويزيد عليه ما ورد في التلمود من احتقارهم لغير اليهود واعتبارهم حيوانات تخدم اليهود فقد جاء في نصوص التلمود:

«الخارج عن دين يهود حيوان على العموم، فسمه كلباً، أو حماراً، أو خنزيراً. والنطفة الذي هو منها هي نطفة حيوان. وقال الحاخام أباربانيل: المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات. وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود، الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية. كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة. فإذا مات خادم يهودي أو خادمتة وكانا من المسيحيين فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له»[2].

ومن خلال هذه المفاهيم وتلك التطورات عاش اليهود حياتهم في جميع أنحاء العالم لا ولاء للدولة التي يعيشون فيها وذلك من منطلق نظريتهم العنصرية. ومفادها أنهم شعب له خصائصه التي تجعله معزولاً متفرداً لا يمكن له أن ينصهر في أية بوتقة. وبكلمة أخرى يتعاطى يهود على أن واحدهم لا ينخرط في صَيغة وطنية أو قومية، وبالتالي انتماؤه هو لهويته اليهودية، أي يرفض كل انتماء إلا الانتماء القائم على أساس الدين[3].

---

(١) سفر تثنية الاستراع الاصحاح ٩. (٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود.
(٣) المال والاعلام في الفكر اليهودي ـ دار النفائس.

يقول مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل في هذا الموضوع: «لقد ألمحت فيما سبق إلى مسألة إدماجنا، ولا أريد أن يفهم من كلامي ولو للحظة واحدة أنني أرغب في نهاية كهذه.

إن شخصيتنا القومية مشهورة تاريخياً شهرة لا مراء فيها، وعلى الرغم من كل إذلال فإنها أقوى من أن تجعل القضاء عليها أمراً مرغوباً فيه.

.. وهكذا، سواء رغبنا أم لم نرغب، فإننا الآن، وسوف نظل، جماعة تاريخية ذات خصائص عامة لا يمكن أن تخطئها العين. إننا شعب واحد.. لقد جعلنا نتوحد كما حدث موارباً في التاريخ أن الكروب تجمعنا ومن ثم توحدنا... وفجأة تكتشف قوتنا... نعم، إننا من القوة حيث نستطيع أن نقيم دولة... وفي الحقيقة فودجية... إننا نملك كل الموارد الإنسانية والمادية اللازمة لهذا الغرض»[1].

واحتفاظ اليهود بهويتهم وعدم ذوبانهم في قوميات البلاد التي عاشوا فيها مرجعه إلى ثلاثة أشياء:

١ ـ رابطة التقاليد الدينية والتاريخية.

٢ ـ رابطة الدم.

٣ ـ غريزة التضامن.

****

(١) الدولة اليهودية ـ تيودر هرتزل ـ دار الزهراء.